كيف أكتبُ؟
سؤال يَسأله نَفسَه أ.د.صالح بن حسين العايد؛ لِيَعود فيُجيبك بأحلى ما يُمْكن أنْ تقرأه مِن جواب: مفيد، مقْنع، ممتع! أرجو أن تقرأه وتتمادى مع طوله حتى تُنْهيه؛ فسيكون مِن جميل إنجازاتك أن تقرأه:
👇🏼

كيف أكتبُ ؟

كثيراً ما أُسألُ :
من أين لك هذا ؟
أكتبُ الجُمَلَ القصيرةَ فتنالُ إعجابَ كثيرينَ ! فيقولون :
أنّى لك هذا ؟
ويتساءلون :
كيف أتاك هذا الكلام الجميل ؟
زَعَمَ أحد المذيعينَ في مقدّمة لقاء معي في برنامجه الذي أذيع في شهر رمضان أنّ ضيفه أحسنُ من يكتب الجمل القصيرة في الجيل

الحالي !
ثمّ سألني :
كيف وصلتَ إلى هذا الإتقان ؟
شكرتُهُ على حسن ظنّه ، ومع عدم تسليمي بزعمه أجبته جواباً مختصراً يمكن تفصيله هنا :
الكتابة ثمرة تراكمات امتدّتْ سنواتٍ ؛ فهي كالحمل يحتاج إلى بلوغِ سنّ البلوغ ؛ ليمكن الحمل نطفةً ثم علقةً ثم مضغةً حتى الاكتمال قبل الميلاد ...
والقراءة المتواصلة عبر السنين هي اللقاح الذي لا بد منه لإيجاد الحمل وتكوّنه .
والقراءة فَنٌّ وإتقانٌ ؛ لقد تعلمتُ من أستاذي الفذّ الجليل الدكتور عبدالرحمن رأفت الباشا _رحمه الله ووالديّ وإخواني وأبناءهم والمؤمنين والمؤمنات _ الطريقة المثلى للقراءة النافعة ، وتتلخص نصيحته : (اقرأ الكتاب ومعك قلم أصفر لتلوّنَ به ما يعجبك مما تقرأه ؛ لتعود في كلّ عام إلى

الكتب التي أنجزتَ قراءتها فتقرأ ما علّمتَه بالقلم الأصفر فقط ، وهذا لن يحتاج منك إلى أكثر من نصف ساعة فقط لاستذكاره ، وفي قراءتك هذه سوف تستذكر وترسّخ أحسن ما في الكتب التي أنجزتَ قراءتها).

وقد اتبعتُ ما رسمه لي ولزملائي أستاذنا الباشا (وهو مؤلف كتاب صور من حياة الصحابة وكتاب صور من حياة التابعين)
فاستفدت من هذه الطريقة أيما فوائد .

وقرأتُ متبعاً هذه الطريقة آلاف الكتب ، ومن أبرزها كتب ابن المقفّع والجاحظ وابن قتيبة وأبي حيّان التوحيدي والمبرّد وغيرها من كتبَ التراث ، وفي العصر الحديث قرأت كتب علي الطنطاويّ ومصطفى المنفلوطيّ والمازنيّ والعقاد ومصطفى صادق الرافعي وجبران خليل جبران ومارون عبّود وأنيس

منصور ، وروايات نجيب الكيلاني ومحمد عبدالحليم عبدالله وغيرها .

وقد ذكرتُ في مقدّمة كتابي (وشم على كفّ الزمان) الذي اشتمل على 5780 تغريدة قصيرة ذكرتُ شيئاً يسيراً حول كيف أصوغ التغريدة القصيرة ، وبعد نشري لهذا الكتاب واصلتُ الكتابة على ذات المنوال ، وقد تصل التغريدات الجديدة إلى 5000 تغريدة سوف أنشرها بحول الله وقوته في كتاب جديد (عناقيد الحكمة) .

إنّ ركائز الكتابة :

ذخيرةٌ وافرةٌ جدّاً من القراءة النافعة .

وذخيرةٌ عميقةٌ جدّاً من اللغة العربيّة علومٍها وفنونها وآدابها شعراً ونثراً .

والكتابةُ من زادٍ مُدَّخَرٍ أعمقُ من إلهامٍ مُنتَظَرٍ .

وما أشبه الكتابة الأصيلة القصيرة بصناعة عطر الورد

الطائفيّ ؛ فهو يحتاج إلى كمّيّةٍ ضخمةٍ من الورد (القراءة) ليستخرج منها قارورة صغيرة جدّاً من عطر الورد (الكتابة) ، وكتاباتُ مَنْ يقرأُ أَلْفاً ؛ ليكتبَ حَرْفاً ، هي الجديرة بالقراءةِ .
والكتابةُ عَينٌ تنظرُ ، وقلبٌ يتذوّقُ ، وعقلٌ يتأمّلُ ، وقلمٌ يصوغُ .
فالمناظر التي تمرّ أمام عيني الكاتب يصطاد منها نواة الفكرة ؛ وكم من منظر رأته عيون ملايين البشر لكنّها لا تأبه له ، لكنّ عين الصقر وحدها التي تراه ؛ فكم من عين رأت تفاحة تسقط من الشجرة فلم تلفت إلا نظر إسحاق نيوتن ليطلع للعالم بقانون الجاذبيّة .
وتحتاج الكتابة مع العين التي ترى إلى قلبٍ يتذوّق ؛ فالذوق الرقيق المتحفّز يتلمّظ للمنظر الخلاب ويصطاد الفكرة الجميلة العابرة ، ثمّ يتذوّقها باستمتاع يدفعه إلى المسارعة ليلبسها أجمل لباس يأخذ بالألباب ؛

الكتابةَ رُوحٌ ، لا صَفَّ حروفٍ ،
وإذا امتلأ القلبُ بالمنظر الجميل
فإنّه يحتاج إلى الكتابة ؛ لأنّ
الكتابةَ تفريغٌ لِشُحُناتٍ ضاقَ بها
صدرُ الكاتبِ ؛ كي تمتلأَ بها
صدورُ القُرّاءِ .
وتحتاج الكتابة أيضاً مع العين
التي تبصر والقلب المتذوّق إلى
عقلٍ يتأمّلُ ؛ فالمناظر تترى ،
والأفكارُ نهرٌ يتدفّق ؛ وكم تمرّ هذه
كما يمرّ السحاب دون إمطار ؛
لأنها لم تصادف عقلاً اعتاد على
التأمل والتفكير العميق ؛ فإنْ
كانت فكرة خافية أبرزها ، وإنْ
كانت فكرة مبهمةً أزال عنها
الإبهام ، وإنْ كانت مجملةً
فصّلها ، ويقوم العقل بجمع
المتشابهات والمترادفات
والمتضادات ؛ فيخلطها معاً خلطةً
محكمةً نافعةً .
وخاتمة المطاف قطفُ الثمرة ؛ فمع
العين الباصرة والقلب المتذوّق
والعقل المتدبّر تأتي رسالة القلم

الماهر الذي يستطيع صياغة الثمرة المقطوفة بأحسن عبارة وأشملها وأخصرها وأجملها ؛ لأنّ السّحر الفتّان إنّما هو في جودة البيان الذي تتراقص له الآذان ويخفق له الوجدان ؛ والكتابةُ مثلُ الذهبِ ؛ منها أربعةٌ وعشرونَ قيراطاً ، ومنها دُونَ ذلك ، ومنها مَطلِيَّةٌ بالذهبِ ، ومنها ما لونُهُ لونُ الذهبِ ، والفكرة شرابٌ لذيذٌ والكلماتُ آنيتها التي توضع فيها ، إذاً فأسلوبُ الكتابةِ ومضمونُها كالشرابِ في الإناءِ ؛ فمنهُ الطَيِّبُ في إناءٍ قبيحٍ ، ومنهُ الخبيثُ في إناءٍ فاخرٍ ، ومنهُ الطَيِّبُ في الإناءِ الفاخرِ .

والكتابة كتابتان : كتابة قلب وكتابة عقل

فكتابةُ العقلِ تحتاجُ إلى عُقُولٍ تَهضِمُها ، وكتابةُ القلبِ تحتاجُ إلى قلوبٍ تَرْشِفُها .

والكتابة تحتاج إلى عناية فائقة باختيار الألفاظ ووضعها في

مكانها المناسب ، واستعمالها دون مرادفاتها ، ولذلك صارت الكتابة الجميلة تحتاج إلى زمن أطول للتدقيق والتمحيص ؛ فغزارة الإنتاج تتعارض غالباً مع الجودة ؛ وقد سُئِلَ الأديبُ الفرنسيُّ فيكتور هيجو :
كيف يتدفّقُ الفنُّ الجميلُ من أصابعِكَ ؟
فقال : إنّي أكتبُ سطراً كُلَّ يومٍ .
وقال الصحفيُّ الأمريكيُّ إرنست همنغواي :
"على الكُتّابِ أنْ يكتبوا واقفينَ ؛ فإنّهم حينَها سيُتقِنونَ كتابةَ الجُمَلِ القصيرةِ "
وقد وصف أنيس منصور منهجه في الكتابة فقال:
" وكنتُ أقومُ بتفصيلِ الألفاظِ على قَدرِ المعاني ، وكانت عباراتي مثل فساتينَ ضيّقةٍ شفّافةٍ ؛ تُغطّي المعانيَ وتفضحُها أيضاً .. وبينَ السترِ والفضيحةِ يتأرجحُ جمالُ الكلامِ ".

وما اتبّعه أنيس منصور هو ما أتبعه تماماً في طريقتي بالكتابة ، وقد ذكرتُ في مقدّمة كتابي (وشم على كفّ الزمان) أنّ حالي في الكتابة تشبه حال الأستاذ الراحل يحيى حقّي في كتابته ؛ فهو يقول :
" إنّني أكتبُ الجملة أربعين مرّة حتّى أرضى عن معانيها وجمالها في التعبير " .

ويبقى السؤال : كيف أكتبُ تغريداتي ؟

بعد صلاة الفجر من كلّ يوم وحيث يكون الذهن صافياً والعين تبصر وتنظر ، والقلب متحفّزاً متذوّقاً ، والعقل متدبّراً متأملاً ، تبدأ حصّة القراءة الصباحية في أحد الكتب التي اصطفيتها للقراءة ، وأكونُ في بيئة هادئة جدّاً مغرية بالقراءة والتذوّق والتدبّر والتفكير ، وفي أثناء

القراءة يوحي ما أقرأ بفكرة نشأتْ معارضةً للمقروء أو مطوّرةً لها أو ملهمةً بها ، فأتوقّف عن القراءة لأكتب الفكرة ، ثمّ أُمْضي برهةً من الزمن أحاول إلباسها حلّةً قشيبةً تناسب جودة معناها ؛
مستحضراً أنّه كم من فكرة شريفة جميلة قبّحها أسلوب كتابتها !
وقد يمرّ بي في أثناء القراءة مصطلح جميل فيعجبني ،
ويتداعى إلى الذهن مصطلح مماثل له ؛ فيحتاج الأمر إلى إيجاد رابط يربط بينهما ؛ ومن الأمثلة على ذلك مَرّ بي وصف أحد الكتّاب بأنّه ممن يطوف على القصور يستجدي هبات الموسرين أو حتى طعامهم ؛ فتداعى إلى الذهن الطوّافون على القبور ،
فحاولت الربط بين الطوافين على القبور والطوافين على القصور ؛ فكتبتُ :
(انقَصَمَتِ الظُهُورُ لمّا انقسَمَ المسلمونَ بينَ طَوّافينَ على القُبُورِ

وطَوّافينَ على القُصُورِ).

ومن ذلك مرّ بي في القراءة حديث عن ظلمة الكهوف ؛ فتواردَ إلى الذهن الحديث عن مَنْ قرأ سورة الكهف يوم الجمعة : " من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بينه وبين الجمعتين"

فكتبتُ :

(فِي الكُهُوفِ عادةً يَدْلَهِمُّ الظلامُ
إلا كَهفاً بينَ الإسراءِ ومريمَ ؛ حيثُ دائماً يَسطَعُ النورُ)

وهكذا أكثر تغريداتي يصدقُ عليها قولي :

(كتاباتي مِنْ إلهاماتِ
قراءاتي) .

كتبه

د. صالح بن حسين العايد

الرياض

١٧-١١-١٤٤٠هـ